مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: الواحد والسبعون

السنة: السابعة والأربعون

الموصـــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الواحد والسبعون — السنة: السابعة والأربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أَميـــــن	– إدارة المتابعـــــة
م. مترجم.نجلاء أَحمد حســـين	– إدارة المتابعـــــة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	– مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار.
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـوان	الصفحة
المنظومة الدُّرِيّة بمدح سيِّد البريَّة ليوسف بن عبد الله العمريّ (ت بعد ١٢٤٠ هـ) تحقيق ودراسة أ.د. أحمد حسين محمد الساداني	١ - ٣٤
العلاقات الاسنادية وأثرها في التشكيل الاستعاري النص القرآني أنموذجاً أ.د. محمد ذنون يونس فتحي	٣٥ - ٥٦
الظواهر اللهجية النحوية في الحديث الشريف دراسة في كتاب : شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) أ.م.د . أحمد صالح يونس محمد	٥٧ - ٧٨
رؤية المستشرق الأسباني أنغيل بلَنثيا في التراث المورسيكي أ.م.د. فارس عزيز حمودي	٧٩ - ١٠٨
-العلاج والاستقرار- في كتاب سيبويه م.د. مجاهد عبدالمنعم أحمد سامي	١٠٩ - ١٣٠
تجليات العنوان في متن القصيدة (البيت) أنموذجا للشاعرة بشرى البستاني م.د.إخلاص محمود عبدالله	١٣١ - ١٤٦
الشكوى في شعر سبط ابن التعاويذي (ت ٥٨٣هـ) م.د. فارس ياسين محمد الحمداني	١٤٧ -١٨٠
مُقدمةُ القصيدةِ عند راجح بن إسماعيل الحلّي م.د. مقداد خليل الخاتوني	١٨١ -٢١٢
المؤلفات الموضوعة على صحيح البخاري في المشرق مؤلفوها ومضامينها في القرن الخامس الهجري أ.م.د.محمد عبد الله احمد المولى	٢١٣ - ٢٣٨
الصراع بين الإمارتين القراخانية والسامانية للسيطرة على بلاد ماوراء النهر (٣١٥-٣٩٥هـ/٩٢٧-١٠٠٤م) أ.م.د.حسين إبراهيم محمد	٢٣٩ -٢٧٠
العلاقات العراقية – اليمنية (١٩٨٠ – ١٩٩٠) أ.م.د. قيس فاضل محمد النعيمي	٢٧١ - ٢٩٦
مرويات عفان بن مسلم عن السيرة النبوية في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد أ.م.د. محمد علي صالح	٢٩٧ - ٣٢٦
فقهاء دولة الناصر صلاح الدين الأيوبي أ.م.د. مصعب حمادي نجم الزيدي	٣٢٧ - ٣٥٤
فكرة المهدوية وتوظيفاتها السياسية عند أبن تومرت أ.م.د. عائدة محمد عبيد	٣٥٥ -٣٨٨

عبد الرحمن عزام وقضية التحرر الليبي ١٩١١_١٩٥١ م.د.صفوان ناظم داؤد	٣٨٩- ٤١٦
الموصل من خلال كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب لأبي حامد الغرناطي م.د.مها سعيد حميد	٤١٧- ٤٣٢
حركة منصور بن نصير الطنبذي وتداعيتاتها في المغرب سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤ م م.د. أحلام صالح وهب	٤٣٣ – ٤٤٢
الغزو التجاري للأحياء السكنية دراسة ميدانية في مدينة الموصل أ.م.نادية صباح محمود	٤٤٣ – ٤٦٤
ثقافة الفساد الاداري في العراق أ.م.د. رباح مجيد محمد الهيتي	٤٦٥ - ٥٨٤
ثقافة الانترنت من منظور اجتماعي دراسة اجتماعية تحليلية م.م. ايناس محمود عبد الله	٥٨٥ - ٦١٠
الجدوى الاقتصادية للمكتبات العامة في العراق دراسة مسحية أم.سمير مدحت سعيد	٦١١ - ٦٤٢

تجليات العنوان في متن القصيدة
(البيت) أنموذجا للشاعرة بشرى البستاني

م.د. إخلاص محمود عبدالله *

تأريخ التقديم:٢٠١٤/١/٨ تأريخ القبول:٢٠١٤/٥/٢٥

القصيدة

البيت

((كقصيدة النثر العصّية ،
غامضٌ ....
وغصونه ترخي على صدري الظلالَ ،
وساعديْ ...
ويبثّ عطراً لا يبينْ
في الليل يأخذني لصالةِ حزنهِ
في الفجر أصحبه إلى حلمي
فيحرسُ صبوتي
وأَنامُ بين يديه آمنةً
وإذ أصحو
أراهُ وقد أضاء نوافذي
وأعدّ لي شايَ الصباح
طفلٌ صغيرٌ كلمّا فارقته
بكت البلابلُ في ضلوعي ،
وانجرح ..
شيح الحديقة في دموعي..)) [١]

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(١) أندلسيات لجروح العراق، بشرى البستاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ٢٠١٠: ٩٦

توطئة :

العنوان عتبة إلى الدلالة :

نتلمس دلالات القصيدة بدءا من العنوان،لأن للعنوان وظيفة أساسية ((تستبق مسار النص، وتوحي بدلالته التي يتمركز حولها، ويحشد كيانه كله صورا وتركيب وإيقاعا، ليكشف عن تلك الدلالة وهي تتبرعم على جسد النص لا بوصفها معاني أو مفاهيم منفصلة عن الملفوظ بل باعتبارها مظهرا من مظاهر النص وحضوره الفيزيائي على الورق)) (١). وبؤرة اختزال الأفكار التي ينوي النص إبلاغها(٢). فله أهمية ((في توجيه النظر إلى البؤرة التي تتكثف عندها خطوط الموضوع ومناحي القول فيه)) (٣). على الرغم من تشعبها واختلافها، وبهذا فإن معظم وظائف العنوان تدرك من خلال النص ((فالعنوان من حيث هو تسمية للنص وتعريف به وكشف له يغدو علامة سيميائية، تمارس التدليل، وتتموقع على الحد الفاصل بين النص والعالم، ليصبح نقطة التقاطع الاستراتيجية التي يعبر منها النص إلى العالم والعالم إلى النص، لتنتفي الحدود الفاصلة بينهما ويجتاح كل منهما الآخر)) (٤). والعناوين الشعرية تؤدي وظيفتها في اتجاهين متعاكسين متكاملين أي ((أن العنوان يمكن أن يكون منطلقا لوصف النص الشعري وتفسيره وتأويله، كما يمكن أن يكون هو نفسه محل وصف وتفسير وتأويل، انطلاقا من النص نفسه، فهو إذا (مفسِّر) للقصيدة و(مفسَّر) بها في آن معا)) (٥). فالعنوان في الشعر ليس منفصلا عن النص، بل

---

(١) الدلالة المرئية، قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، د.علي جعفر العلاق ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان _الأردن ، ط١، ٢٠٠٢ : ١٢٧

(٢) ينظر: علم العنونة ، عبد القادر رحيم ،دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق_ سوريا، ط١، ٢٠١٠: ٤٩.

(٣) نبوءة العراف في العنوان الفني للدراسة النقدية، د. سوادي فرج ، الأقلام ،ع٦،س ٢٠٠٠ : ٣١.

(٤) شؤون العلامات، د. خالد حسين ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق_سوريا ، ط١، ٢٠٠٨ :٤٧.

(٥) وظيفة العنوان في الشعر العربي الحديث، عثمان بدري، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت،ع٨١، س ٢٠٠٣ :١٩

هو جزء مكون من تشكيله لكن في الوقت نفسه يتم الأخذ بنظر الاعتبار خصوصيته الفضائية البصرية التي تجعله يعتلي فضاء النص مستقلا عنه.

إن العنوان هنا (البيت) يحيل على بنية ثقافية في أذهننا عن معناه المعرفي لدى الشاعرة، فبيتها مركزا للثقافة والبوح العلمي، والبيت الشعري انطلاقة الكلمة الثقافية المألوفة وغير المألوفة تجاه الآخر، والبيت رمز السكن والآمان والهدوء والسكنية والراحة يتجسد في دلالته النسقية، وهو المؤطر للنص وتشكيلاته، فالبيت من المألوف الحياتي لدينا .

وإذا ما انتقلنا إلى دلالة (البيت) بمعناها العام نجد لها مرجعية دينية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[١] ، وهذا ما نلمحه في القصيدة من إضفاء الأمن للذات. وفي قوله تعالى:﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[٣]، وقوله تعالى:﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾[٤]. وغير ذلك كثير.

فالبيت يرتبط بالبيت الحرام وبأهل النبوة فله دلالة دينية، كما وله دلالة أخرى جاءت من أبيات الشعر البيت سّمي بيتاً لأنه كلام جمع منظم[٥]. فيحيل إلى الشعر وبحوره، وتمثلت القصيدة بـ (١٦) سطراً شعرياً لتواكب بحور الشعر، خاصة وأن القصيدة بدأت بـ(كقصيدة) فضلاً عن معنى (البيت) الشعري المشتق من الشعر الذي يتكون من صدر وعجز.

فالبيت : مجموعة كلمات موزونة حسب قواعد عروضية تكون في ذاتها وحدة موسيقية، ويتألف البيت من الأجزاء أو التفعيلات[٦].

لقد اتخذت الشاعرة (البيت) بطلاً لقصيدتها، وهو ركن من أركان المكان وأحد رموز الكينونة النفسية، لأن حس المكان حس أصيل وعميق في الوجدان البشري، وخصوصاً

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٥.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٥٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية : ٣٣.

(٤) سورة التحريم ، الآية :١١.

(٥) ينظر : لسان العرب، مادة (بيت)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١ ،(د.ت).

(٦) ينظر :المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ ،١٩٧٩: ٥٤ .

إذا كان المكان هو وطن الألفة والانتماء، الذي يمثل حالة الارتباط برحم الأرض، ويرتبط بهنأة الطفولة ويزداد هذا الحس شحذاً إذا ما تعرض للفقد أو الضياع[١]. وبذلك يصدق قول (باشلار) ((إن كل الأمكنة المأهولة حقاً تحمل جوهر فكرة البيت...))[٢]، وهو كوننا الأول، وأحد أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات الإنسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه أحلام اليقظة، كما((يمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلفة كثيراً ما تتداخل، أو تتعارض وفي أحيان تنشط بعضها بعضاً في حياة الإنسان، ينمي البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية، ولهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كائناً مفتتاً)) [٣].

يمثل البيت مكان الألفة والسكينة ويغدو فكرة تسكن رؤية الشاعرة، ورمزاً يتشكل من خلال اللغة الشعرية، فيكتسب شعرية المكان أو جماليات المكان، ويعكس الحس المكاني للشاعر، فيرمز إلى عالم الشاعر الداخلي وعلاقته بالعالم الخارجي[٤]. فالبيت يحمل سمات أصحابه من ثقافة وأسلوب حياة يفضح كل من يحاول أن يدخل إليه بعض التعديلات ليخضعه لذوقه، فمن الأماكن ما تحول وتشكل على شاكلة أصحابه، ويحمل نمط حياة وتقاليد من أقام فيه. [٥] فالبيت يشكل مجموعة من الصور التي تعطي الإنسانية براهين، أو أوهام التوازن، ولتمييز كل هذه الصور يعين أن نصف روح البيت، ويحدد باشلار صفات البيت الأليف في :

(١) ينظر: الشعر ومتغيرات المرحلة، اعتدال عثمان، حلقة دراسية لمهرجان المربد الشعري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٥: ٥١

(٢) جماليات المكان، باشلار، ت:غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، بغداد ،١٩٨٠.والمؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ،١٩٨٤: ٤٢ .

(٣) جماليات المكان : ٤٤.

(٤) ينظر : المكان في الشعر العراقي الحديث، سعود أحمد يونس ،رسالة دكتوراه ، إشراف د.بشرى البستاني ، جامعة الموصل ،١٩٩٦ : ٤٤-٤٦.

(٥) ينظر : المكان ودلالته في رواية مدن الملح ، صالح ولعة، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط١، ٢٠١٠ : ١٥٩

١- نتصور البيت كائنا عموديا إنه يرتفع إلى الأعلى فيميز نفسه بعاموديته،٢- نتخيل البيت كوجود مكثف انه يتوجه إلى وعينا بالمركزية. (١)

نلمح دلالة العنوان النسقية مهمة وفعالة، وتعطي معنى جوهريا للقصيدة، وإذا ما حذفنا العنوان (البيت) تحول المعنى ليكون شيئاً آخر- شخص يرمز إلى حبٍ آمن (العلاقة بين محب وحبيب) هذه العلاقة الحُبية لا يدركها أحد، ولا يلتمس جوهرها إلاّ من تيقن من صدقها وإدراكها.

هكذا تُفّعل الأنساق المضمرة والظاهرة دورها في إعطاء الدلالة الثقافية، وهي بمثابة إشارات نسقيه تتوارد، لتطرح معاني ضدية ومخاتلة تُمرر خلفها أموراً أعمق وأبعد عن إدراك المتلقي لها.

وإذا ما إلتفتنا إلى نهاية النص مع بدايته نجد في ذلك علاقة واضحة، لأن القصيدة تبدأ بنسق ثقافي حديث ومعاصر(قصيدة النثر العصّية)، يدل على العصر الذي تتحدث عنه. والنهاية بـ(شيح الحديقة في دموعي)، وبذلك فهي تجمع بين الشعر والطبيعة، والجمع جاء طبيعياً على وفق هذا النسق الظاهر، كما نلمح اقتران الطبيعة التي تمثل جزءاً من البيت بالذات، وهو جزء من التمازج والترابط بين الاثنين.

كما نلاحظ ما هو ذاتي يتجسد بلمحات عدة، تكاد تطغى على الآخر (البيت)، لنعرف بأن الذات هي المعنية والأساس في هذا التصور والفكر. فالبيت يأخذ الصفات الإنسانية من الذات ،وتبادله ذلك من (بين يديه) (أضاء نوافذي)، فاليدين للذات انتقلت إليه، والنوافذ للبيت انتقلت للذات ،وهذا التبادل بين الاثنين يمنح التواشج بينهما، وقادر على إثارتنا تجاهه .

(١) ينظر : جماليات المكان : ٤٥.

هذا ما يبينه الجدول للكلمات :

الذاتي	الآخر
صدري	غامض
ساعدي	
يأخذني	يبث عطراً
صبوتي	غصونه
نوافذي	
ضلوعي	يديه
دموعي	
حلمي	

_ اليومي والمألوف في القصيدة :

يمكن تعريف اليومي بأنه ((نتاج التكرار المتطور من الحالات، يحمل في أحشائه جدلية زمنية تجمع بين ماضي الحال وحاضرها، فنجده في الشائع والنادر معا. مادته استعمال الأشياء المألوفة.ولغته هي مألوفة ومعاشة وشائعة)). كما أن اليومي هو ما يخص حياة الشخصية المفردة، أو الجماعة من الممارسة الحياتية للإنسان، ومن ثم يشكل ظاهرة حياتية يومية خاصة بأسلوب كل شخصية أو جماعة، وما يرافقها من العلاقة مع الأسرة والناس، ونجده مرتبطا بمتغيرات الحياة وظروفها .

أما المألوف فهو مألوف حياتي يمارسه الشخص، وقد يكون مقتنعا به أو لا ، فهو لغة تحمل المحتملات ويشاركه اليومي، لذلك تكون قصيدة اليومي والمألوف منفتحة على التجريب والتأويل كما تحتوي في داخلها البساطة والفكرة الفلسفية .إذ يرتبط بالمشاركة الجماعية كالأعياد والأعراس والصوم والصلاة.

والقصيدة التي تتناول اليومي والمألوف هي((نمط من الشعر تعبر عن الواقع تعبيرا مشبعا بما هو يومي من المفردات والصور))، وهي تهتم بالتفاصيل العادية غير اللافتة للانتباه ، إذ تتشكل منها الحياة في نسيجها وتبلغ الدلالة ذروتها. واهتمام الشعراء

بتكريس ما هو يومي ومألوف في شعرهم رغبة في الرجوع إلى تفاصيل الحياة وخصوصيتها وكل ما له صلة بها.

تكتنف القصيدة تحولات جمة يمارسها (البيت) ما بين (الشعر/ النبات /الإنسان_الرجل_ الطفل) ، وهي نوع من الألفة والمحبة تشعر بها الذات تجاه من تحب، لذا تسكب هذه الأوصاف على (البيت)، لتعطيه صفة المحبة، فيجمع كلّ شيء جميل وذات تأثير مثير لخلق المحبة في داخلها، فتسري مقاربة اليومي والمألوف بين هذه التحولات .

١-التحول الأول : التشبيه بقصيدة النثر

في بداية القصيدة ومفتتحها نجد (البيت) يتمثل (بغموض قصيدة النثر)، وإن المفتتح بالشعر ورموزه (قصيدة النثر)، يمثل قلبها النابض بالحياة وجوهر عملها ومكتنز شخصيتها، وما يتجسد فيه من كينونتها. أما عن ربطه (بقصيدة النثر)، وذلك لمواكبة العصر وتطوره، الذي يكتنفه الغموض. أيّ هنا في هذا التحول صفة (الغموض/ التطور) تبرز وتتضح فيه. فالقصيدة تبدأ بالتشبيه الذي ينقلنا إلى محور ثقافي من صفاته التجديد والحداثة دالاً على الشعر، وأن هذا الإرتباط بين(الشعر/ البيت) له مدلول اجتماعي وثقافي، لتبين لنا مدى الترابط بينهما، ويتم استحضار البيت بحلية القصيدة الحديثة، فأخذت المعنى المعرفي له وعملت على ربطه بالنص، لأن البيت الشعري مأخوذ من البيت الذي ينسج من الشَعر للمكوث فيه. وقد شبه بالشعر لأنه أصبح ما هو مألوف لديها فقول الشعر والبيت متلازمان للذات، ونستطيع أن نقول بأن البيت له من التأثير الشيء الكبير ولولاه لما أنتج هذا الشعر. والشعر دلالة على قمة الثقافة كذلك.

٢-التحول الثاني : النباتي

يتحول البيت إلى الشيء (النباتي)(وغصونه ترخي على صدري الظلال...) فجأة دون مقدمات على وفق وحدة دمج رائعة، لتعطيه صفة الجمال واللون والرائحة الزكية، ولتُفعل هذه الفاعلية النباتية الحيوية. لأن الإحساس بالمكان يفترض أن يجعل القارئ ((يحس بالانطباع والنكهة والأصوات والجو المألوف الخاص به)) [١].

(١) البيئة في القصة ، مقدمة البحث، مجلة الأقلام ، ع ٧ ، س١٩٨٩.

فحاولت التعبير بأنسنة المكان، لتنقل لنا إحساسها بالمكان، لأن المكان عنصر داخلي يسهم في بناء العمل الأدبي، فالإهتمام به لا يعدو زخرفاً جمالياً حسب، بل ليدخل في جدلية مع الأشخاص ونفسياتهم، فيكون وصف الطبيعة والمنازل وسيلة لرسم الشخصيات وحالاتهم النفسية(١). وبذلك فالمكان يوظف كوسيلة للإفصاح عن مشاعر الحزن والغربة، فليس المكان مساحة فحسب أنه حالة نفسية(٢).

٣-التحول الثالث: الإنساني

(في الليل يأخذني لصالة حزنه/ في الفجر أصحبه إلى حلمي...)

يتحول (البيت) إلى كائن حيٍ يحمل صفة الإنسانية والآمان، وهي صفة مشتركة يوفرها (البيت/ الرجل) معاً. إذ لا يعطي الأمان إلاّ من كان له قدرة على ذلك.

ثم تستكمل إنسانيته بما هو يومي ومألوف، ليصبح البيت جزءاً مما هو مألوف لديها بالصفات الإنسانية التي يقوم بها. مع ملاحظة أن التحولات غير منفصلة عن بعضها، وهي تتمتع بخاصية الدمج والاستمرار عبر تسلسل وسرد للحدث متواصل بل وكأن القصيدة تتشكل بكائن حي لا يتجزأ.

نجد القصيدة تكتسب دلالة اليومي والمألوف في تعاقب (الليل والنهار)، ومقابل ما يمنحه البيت من شيء يومي تقوم الذات أيضاً بما هو يومي لكن مع تألم ومفارقة، وما هو يومي ومألوف يكتسب دلالة غير مألوفة لأنه جماد ليس بإنسان، والذات تحاول أنسنته وتحويله إلى جسدي بل إلى روح وجسد، ليمثل البراءة والطفولة بكلّ صورها.هكذا يكتسب البيت صفاته وتخلع الشاعرة عليه طفولة تحتاجها في الآن. ويكتسب البيت قيمة ثقافية ممن يقطن فيه،(فالبيت / الشعر) عالمها- الذات- الذي تعيش فيه وتهرب من الواقع إليه.

تقول الشاعرة :

((في الليل يأخذني لصالة حزنهِ
في الفجر أصحبه إلى حلمي))

(١) ينظر: المكان والزمان في يوميات نائب في الأرياف، ليلى درغوث، الحياة الثقافية،ع٥٨، س١٩٩٠ : ٤٤.

(٢) ينظر: دلالة المكان ،محمد الشوابكة ، أبحاث اليرموك ،ع ٢، س١٩٩١: ١٩-٢٠ .

في الليل يأخذها إلى حزنه حيث الهدوء الذي تبتعثه رائحة الحزن المخيمة على المكان، نتيجة أوجاع الحياة. وفي الفجر مبعث الأمل تصحبه إلى حلمها ومستقبلها، الذي تسعى إلى تأسيسه عبر عملها صباحا فدلالة الفجر تعطي الانشراح والأمل والتواصل، ويكمن بعملها العلمي ورسالتها التي تؤديها فهذه الثنائية الليل /الفجر، مقترنة بثنائية البيت /الذات، وتعطي دلالة اقتران اليومي بالمألوف والتعاقب المستمر مع الاندماج بينهما.

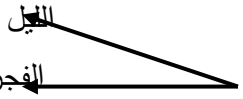

اقتران الزمن المتناقض في نسق سلبي وايجابي

وإن اقتران الزمن في نسق سلبي وإيجابي لهذه العملية العكسية التي وردت، جاءت بها سمّة التحول للبيت بين الأخذ والمصاحبة، ليتحول البيت على وفق عمليتي (الأخذ والمصاحبة) إلى كائن بشري، فهي تعمل على إضفاء السمات الإنسانية على الجمادات، وما كان ذلك إلاّ لإعطائه القيمة الحقيقية لتسكنه الروح، فيكن إنسانا ينبض بالحياة، كيف لا وهو مركز الأمان والسكينة، ومن توفر هذه الصفات يستطيع أن يبعث النوم، فلا منام بدون أمان، ولا بيت بدون أمن.

أما عن قصد الجمع بين (الليل والفجر)، للإحساس بعدم المفارقة فهي لا تفارقه، وإن كان كذلك فهو معها روحياً تصحبه حيث تشاء ، لذا جمعت الزمن بحاليه (الليل والفجر)، والعملية متبادلة بين الاثنين لكن مع اختلاف الدلالة النسقية للألفاظ فالأول : يأخذني والثاني : أصحبه، وشتان ما بين الأخذ والمصاحبة، لأن الأخذ يأتي بمعنى الغصب أحياناً، ولا عجب وهو يأخذها إلى حزنه. أما المصاحبة فترتبط بالحلم مصدر انبعاث الرؤيا والأمل، لذا اقترن الأول بالليل والثاني بالفجر.

أن هذا البيت الذي يتشكل بنصفه المكاني والجسدي، أو الذي يتجاور فيه الشطرين، ليساعد الأول الآخر وبالعكس، جاء ليعطينا معنى مصاحبة الروح للجسد، هذه الثنائية التي لا تنفصل عن بعضها. وبذلك فهي تضفي عليه الدلالة الذاتية، وعندما تبتعد عنه تظل دائماً تستعيد ذكراه ذلك الإحساس بالحماية والأمن اللذين يوفرهما البيت، فتتخذ صفات وملامح المكان طابعاً ذاتياً.

وندرك من خلال ذلك مدى تعلق الشاعرة ببيتها هذا المعطى الثقافي لديها مركز أمنها واستقرارها وعملها هو بيت ثقافي بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، لذا فعملية الاندماج والتشخيص واضحة.

- التحول الأخير: الإنساني الطفولي

يتمركز هذا التحول عبر(طفل صغير) وكثير ما يتصف الرجل بالطفل من امتلاكه بعضاً من صفاته، وما هذا التجسيد إلاّ لتعطي شدة التعلق بالبيت ومدى اقترانها به.

هذا البيت الذي تلون بألوان عدة بين الشيء المحسوس (الشعر)، والملموس بالحواس (النبات) والتحول الإنساني الذي يجمع صفة (الحركة/ الجمال/ ألامان).

وهذا التحول شمل التنقل بين صفات

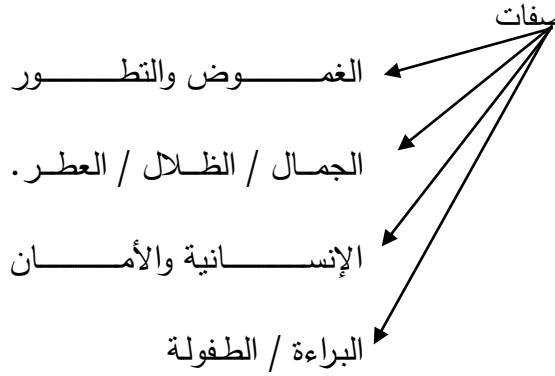

أليست هذه الصفات التي يمتلكها البيت هي ما تحتاجها الذات الأنثوية .

تبث القصيدة ثقافتها اليومية والمألوفة من خلال الأفعال المضارعة (ترخي/ يبث/ يأخذني / يحرس /أصحبه /أنام /أصحو/ أراه) .فقصيدة اليومي والمألوف وإن بدت محكومة ببداية ونهاية إلا أنها تغتني بالحاضر وباستمرارية اقتران ما حدث بما سوف يحدث.([1]) فجاءت على سياق قصصي تتابعي،وعالجت صوت الشاعرة(أنا) منسحبا إلى موضوع خاص ومادته من الحياة الاجتماعية، فالاقتراب من الحياة هو اكتشاف للمواقع المهملة منها، فتأتي الشاعرة إليها من خلال إنهاض ما هو جدلي فيها، ومن ثم صياغتها من جديد.([2])

(١) ينظر: حجر الحروب :٤٥
(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٤٨

لكن التحول الأخير الذي تختتم فيه القصيدة يتركز في :

((طفلٌ صغيرٌ كلمّا فارقته
بكت البلابلُ في ضلوعي،
وأنجرح ..
شيحٌ الحديقة في دموعي))

فتكون الطبيعة جزءا من الذات الإنسانية، فتتوحد معها(بنباتها وطيرها)، وبذلك يكون (البيت) ضمن تحولاته النباتية جزءا يسكن الذات .

تكرس الخاتمة مشهدا معقدا نوعاً ما، يجمع ما هو ذاتي بالطبيعي، عبر تفعيل دلالة الطبيعة المتحركة، هذه النهاية التي تسدل الستار عن مشهد يومي ومألوف عن قصة ترويها، لتمس جزءا من الذات (ضلوعي / دموعي)، وتعبر عن المرارة والجرح الكبير نتيجة المفارقة والبعاد.

أن ما ترسمه النهاية عبارة عن لوحة رسمت بريشة فنان قادر على الدمج والمزج بين ما هو معنوي بالمادي، والطبيعي بالذاتي. هذا الدمج هو ما تبغيه وتنشده، ليشكل جل فكرتها المتوهجة في العمق.

– إن القصيدة جمعت أشياء عدة :

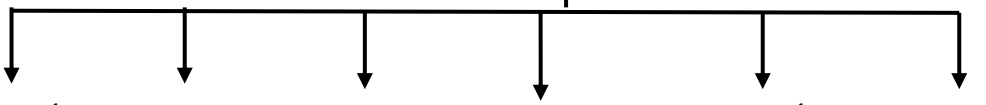

وفي المقابل يتنقل بين:

أما ما هو يومي فنجده في الأفعال اليومية (أنام / أصحو/ أعد شاي الصباح...)،وما هو مألوف من طقوس نفسية : (المفارقة/ البكاء/ الجرح). لكن في النهاية ما هي الخاصية التي تتمتع بها (البلابل) دون سواها؟ نجدها في:

الصوت / الناطق ⟵ الكلام / النطق

والخاصية التي يتمتع بها (الشيح) ⟵ (اللون الأصفر) / النظر.

إن خاصية الطبيعة هنا تجمع بين(الكلام النطق والنظر، اللون والجمال)، وهذا الجمع يعطي البيت من الجمال، والبيت الشعري من الكلام ما له من التأثير والتمركز. وقد عادلت الشاعرة بين عملية (البكاء/ الانجراح) في موازنة، إذ خصت البكاء للبلابل، وهي صاحبة الصوت المغرد، والانجراح للشيح والاثنين يقعان في (الضلوع/ الدموع). بالنسبة للذات فقلبت العملية. فالصوت والبكاء في الضلوع، أما الانجراح فهو في الدموع. هذه هي الخاتمة التي تجسد عملية التوحد بالطبيعة.

ومن ذلك كله نستنتج أن القصيدة تركز على البصر والصوت، الجمال والكلام، وتؤكد على المفارقة التي أصبحت يومية أو مألوفة، وما تتركه من ألم (بكاء / جرح). ودلالة النهاية هذه تضع الشاعرة فيها جل ثقلها بصورة تواشج بين(الذات/ الطبيعة).

فالضلوع رمز الاحتواء ،تحوي البلابل رمز الحرية والجمال ،ونستطيع أن نربط صورة البلابل التي توجد داخل القفص (البيت) إذ شبهت بالحرية تحملها الضلوع، فهي في حالة ألم وبكاء، وقفص البيت أصبح قفص الصدر الذي يحتوي الذات وضلوعها.

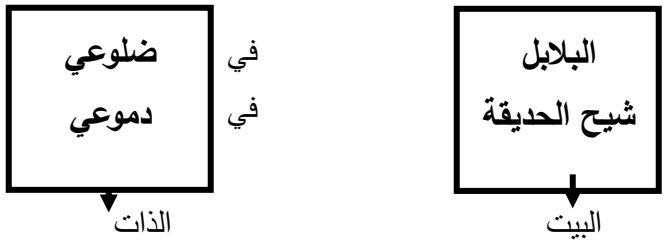

إن الأشياء الطبيعية التي هي جزء من البيت توجد داخل الذات وتبكي الفراق، وإن الطفل رمز للبراءة وباعث للمحبة، مما يجعل الذات تتعلق به حد الوله، إذ لا تقوى على

فراقه، وإذا ما حصل ذلك، فإن الحيوان والنبات يشارك الذات أحزانها، ليدرك الطفل مشاعر الذات نفسها، لأنه لا يقوى على بعد من يمنحه الحنان والدفء.

- ونجد دلالة عكسية يمكن أن نؤولها بالآتي:

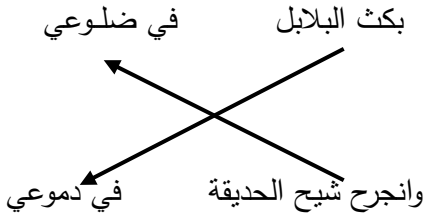

فالبكاء يقابل الدموع والجرح يقابل الضلوع التي تحوي القلب، لأنه موطن الجراح، أما البكاء فيكون في العيون، وقد رمزت إلى العين بالدموع أيّ عبرت عنه بالجزء وأرادت الكلّ، والضلوع وأرادت القلب. فالبلابل تمثل الجوارح وجزء منها القلب تحتويها الضلوع، أما شيح الحديقة، فالشيح ذا اللون الأصفر يدل على لون عينيّ الذات الشاعرة، وقد قلنا بأن الدموع هي العيون.

والخلاصة: بكت العيون وانجرح القلب في الضلوع. فتجمع في النهاية دلالة عميقة، لتشمل (قلب وعيون) الذات الشاعرة، فالبلابل (القلب) رمز الحرية ومركزها القلب في داخل النفس البشرية، لأنها لا تأت إلاّ بالدم والقلب يضخ الدم والمحرك للحياة والحرية.

إن علاقة البدء بالخاتمة أي علاقة الشعر(قصيدة النثر) بالطفل ...؟ هو للجمع بين الاثنين من ناحية اتسامها بـ (الغموض/ البراءة / الصدق/ الحداثة)، ومن ناحية الغموض لـ(قصيدة النثر) يجتمعان في تركيبها ومعانيها، و(الطفولة) لعدم المعرفة في ما يريده أحياناً والعجز عن توفير طلباته.

ومن ناحية(الحداثة والجدة) فكلاهما حديث العهد والولادة، ومن كان كذلك له من المحبة والتعلق في النفوس، وله حداثة العهد وعدم اكتساب الخبرة، فهو مُعرض للوقوع في الخطر والخطأ. وأرادت من الجمع بينهما الجمع بين (السمع والبصر) السمع بالنسبة للقصيدة، والبصر بالنسبة للطفل من الناحية الجمالية وغيرها. أو الجمع بين جانبين السمع/البصر في الشعر، وارتكازه عليهما دون إغفال جانب منهما، وبالتالي فعملية

مفارقتها للقصيدة هي ذاتها مفارقتها للطفل، أو هي عملية تشبيه بداخل تشبيه، أيّ كأن عملية المفارقة هي مفارقة للطفل.

كما أن الجمع بين (السمع والبصر) هما ناحيتان مؤثرتان في الغير، أي أن(القصيدة والطفل) لهما من التأثير في النفوس والذوات، وبالتالي فالبيت له الفعل نفسه، كونه أنتج من تشبيه تولد عنهما.

إن الخصوصية والذاتية التي تتمتع بها القصيدة أبينا أن نضعها فيما هو عام ومطلق، لذا ارتأينا أن نحتفظ بالخصوصية للبيت للذات وحدها. واسقطنا قراءتنا نحو (البيت) بخصوصيته كونه الحياة الداخلية للذات وعالمها الذي تعيش فيه في صفو دائم . ونأمل أن نكون قد اقتربنا من لملمة بعض رموزها، وحل شفرتها لنخرجها بجوٍ يناسبها من الذاتي، ويؤطرها في فلك ما هو خصوصي بحت يترتب عليه اليومي والمألوف .

وعندما نقوم بقراءة النص قراءة تأويلية مغايرة نجد (البيت) رمزا للوطن، إذ تطمئن الشاعرة فيه، ولا ترنو إلى غيره ،على الرغم من الصعاب التي تواجهه لكنها ترتبط به وتنتمي إليه، وهذا يضفي دلالة الحب والتعلق، ومن هنا نفهم عملية التشخيص، لإضفاء الروح الإنسانية عليه، كما يؤكد هذا عنوان الديوان (أندلسيات لجروح العراق)، وربطه بالعنوان الفرعي (البيت).

يأخذ العنوان دلالته من النص، إذ ينفتح على الإيماء السلبي (اتصافه بالغموض /والإيجابي اتصافه بالأمان). فهل يتحول (البيت) من مكنونه الصغير إلى حيز الوطن الكبير؟ ليمثل وطن الشاعرة الذي لا تفارقه ويطوقها بيديه بأمان، وتشمل الخصوصية منطلق العموم..؟ وهل أكتنف البيت الغموض نتيجة تقلبات العصر وكثرة نكباته ..؟ وما حلَّ بالوطن من أمور قد يعجز اللسان عن الإفصاح عنها، فهي غامضة عن الإدراك والمعرفة لتبين ملابستها، والذات عاجزة عن فهم ما يحدث وسببه، والجهة المتحكمة به، ويضيع كلّ شيء في هذا الغموض المحيط به.

إن هذا البيت العصري يتصف بالغموض، ولكلّ ما سبق يشارك قصيدة النثر صفاتها:

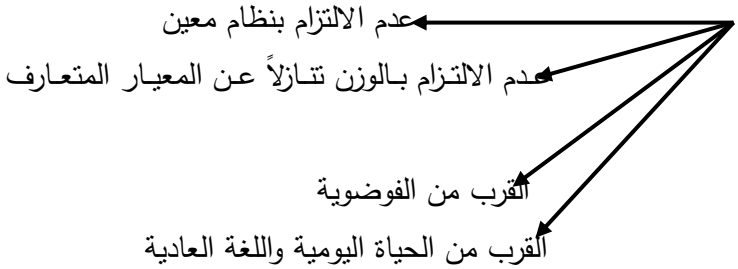

وفي الحقيقة هي ليست صفات للبيت بقدر ما تعكس صفات العصر المستوطنة فيه الذات والبيت معاً، ومن ذلك نفهم ما يدور في البيت من أمور لخصتها الذات الشاعرة بمصطلح ثقافي واحد. اختارت البيت، لأنه يضم الجميع ويظلهم بأمانه، لتفارق الدلالة الماضية الدلالة الآنية وتباعدها. واختارت البيت لتفصح عن همها بما حدث له في الآن، لتُبصرنا بصورته المحببة وما تريد تحقيقه فيه. لتزرع في نفوسنا اسئلة : أين هذا البيت الذي يجمعنا بأمان؟ هل يعيد الزمان بريقاً لعينيه؟ أماناً يصحو فيه من جديد ..؟ أم يبقى في تقلباتٍ جديدة تكتنفه حروب وصراعات لا حصر لها...؟ أكتب عليه أن يكون محطاً للعِراك الدائم !!!

ملخص البحث :

يمثل البيت مكان الألفة والأمان، ويرمز إلى عالم الشاعرة الداخلي، ويحمل سماتها الثقافية وأفعالها اليومية والمألوفة، فيكتسي طابعا ذاتيا ثقافيا .

فعنوان القصيدة (البيت) يضعنا أمام تساؤلات لنقول ما هو البيت؟ أهو مكان الألفة بوصفه مكانا واقعيا حقيقيا ،أم مكانا متخيلا أو مجازيا يأخذ الملامح الإنسانية،أهو المكان الذاتي الخاص أم المكان الواسع ليتمثل بالوطن،أم لينسحب إلى البيت الشعري، فالبيت هو المحتوى الثقافي لشعرها بل بيتها الشعري الذي تطلقه للعلن، ومن هنا أصبح الشعر بيتها وعالمها. لذلك يتخذ البيت تحولاته بين (الشعر والغموض/النبات /الإنسان)، وما هذه التحولات إلا لتسكب الحياة والحيوية عليه، وتضفي الملامح الإنسانية، فهو كالكائن الحي تجاذبه الحديث وتبادله الصفات والأفعال، وإن هذا النوع من التشخيص يعطي النص الشعري الديمومة والحركة، ويكون قادرا على بث ما في الوجدان من مكنونات .

يكرس المشهد الشعري ما هو يومي ومألوف في حياة الذات، من قول الشعر الذي يشكل جزءا من حياتها الثقافية إلى أفعالها اليومية والمألوفة. وهو وإن كان ذاتيا تنسج الذات فيه حركتها اليومية لكنه يتجه إلى العام والمطلق، ليشمل البيت الكبير_ الوطن، فذاتها تقطنها روح الوطن فتعبر عنه بجو مفعم بالمحبة والامتزاج والتواشج.

Title manifestations in the poem content Bushra Al_Bustani`s (Al_Bait) as a model

Lect. Dr.Ekhlass Mahmoud Abdullah

Abstract

House represents the place of familiarity and safety. It symbolizes the internal world of the poetess and carries her cultural attributes and daily and familiar actions. Thus, it takes a cultural subjective character. The title leads us to ask "What is the house?" Is it a place of familiarity for it is a right real place , a private subjective place , a great place representing Home , or it extends to the poetic line. So, house is the cultural content of her poetry ,in fact, her poetic line that she declares publically. Henceforth, poetry becomes her house and world. Therefore, house shifts between (poetry and ambiguity / plants / man) as a way of the poetess to add life and activity to it and to give it a human features . So, it is similar to a living creature with whom she talks and exchanges attributes and actions .This kind of personification gives the text permanence and movement and makes the poetess able to express her sentiments of her conscience.